

أزمة الإبداع في الفكر العربي المعاصر

عيسات نادية

جامعة الجزائر 2



### ملخص المقالة:

منذ أن تمادى المفكر العربي في استعارة ما أنتجه غيره من المفكرين الغرب أو القدماء العرب (التراث)، أصبحت مشكلة الإبداع الفلسفي تُطرح بشدّة، بل تفاقمت و صارت تعبّر عن أزمة تشكل عائقاً أمام سير الفكر العربي، و لا ريب أن عوامل كثيرة تقف وراء ذلك و تستمر في تأثيرها على الطاقة الإبداعية لتطفأ نورها و تمنعها من مرتبطة الظهور، و قد صار واضحاً أن تجاوز الإشكاليات الفكرية الأخرى بحل أزمة الإبداع الفلسفي أو التخفيف من حدتها و في سبيل ذلك نحاول في هذا المقال أن نحلل أزمة الإبداع الفلسفي إلى حد ما و نعرف بداياتها والعوامل المتحكمة فيها وإمكانية تجاوزها في الوسط الفكري العربي .

## **Résumé:**

Depuis persisté penseur arabe dans la métaphore de ce qui a été produit par d'autres penseurs de l'Ouest ou les anciens arabes (Patrimoine), le problème de la créativité philosophique soulève fortement, et aggravé et devenu un obstacle au fonctionnement de la pensée arabe, et ne fait aucun doute que de nombreux facteurs derrière elle et de continuer à avoir un impact sur l'énergie créatrice pour éteindre sa lumière , et est devenu clair que dépassé les autres problèmes intellectuels liés à la résolution de la crise de créativité philosophique ou d'atténuer et pour cela nous essayer dans cet article pour analyser la crise de créativité philosophique dans une certaine mesure, et nous savons débuts et leurs pilotes et la possibilité de la dépasser dans le secteur l'intellectuel arabe.

## مقدمة:

لعل المتأمل في سيرورة الفكر العربي، يجد أن أكثر المظاهر التي تطبعه هي إعادة طرح القضايا الفكرية والإشكالات الفلسفية التي شغلت أذهان المفكرين العرب منذ " عصر النهضة العربية الحديثة"، ورغم ما شهده الفكر العربي من تعدد في التوجهات الفكرية وكثافة الإنتاج الفلسفي، إلا أن ذلك لم يساعد على تجاوز الإشكاليات المطروحة في صورتها الحضارية.

ومن الواضح أن ذلك شكّل ولا يزال عائقاً أمام تطور الفكر العربي، حيث كلما تراكمت الإشكاليات الفكرية وتجاوزت حدودها الطبيعية، كلما ازدادت حدتها وتفاقت لدرجة التأزم، وفي هذه الحال يصير الفكر العربي عاجزاً على استيعاب ذاك الكم من الثقل الحضاري المفروض عليه، فيضل في حلقة مفرغة لا يستطيع الانتقال بذاته إلى مرحلة متطورة يستجيب فيها لمطلب النهضة العربية المنشودة.

وقد ترتب عن هذا الوضع، أن ظل الفكر الفلسفي العربي إلى حد الآن حبيس الجدران الأكاديمية ورفوف المكتبات، و صار نتاجه فاقداً للفاعلية رغم كثافته، و رغم قيام المشاريع الفكرية على أساس معالجة قضايا التخلف و المشكلات الفكرية و الثقافية و الاجتماعية و السياسية و الاقتصادية،... لكنها لم تتمكن من احتواء الوضع بالقدر المطلوب، و لم تصل حلولها المقترحة إلى درجة الممارسة و التطبيق، و هنا تُطرح أزمة الإبداع الفلسفي، و من خلالها يمكن تفسير الوضع المتردي للفكر العربي.

إن ما يدفعنا إلى تتبع واقع الفكر العربي المعاصر، هو شعورنا الدائم بضرورة البحث في غياهبه والتوصل إلى معرفة العوامل التي تقف وراء الوضع المتقهقر الذي آل إليه، ومن ثم محاولة تشخيص الداء المنتشر في أرجائه لمعرفة الدواء المناسب لتجديده والانتقال به إلى مستوى الفاعلية والتغيير.

إن ما ينبغي أن يفهم من سياق هذه المقدمة، أننا لسنا بصدد مهاجمة الفكر العربي أو الأنتلجنسيا العربية المسؤولة عن إنتاج هذا الفكر، أو الاقتصار على إبراز مساوئه، إنما هدفنا ينصب في تسليط الضوء على أزمة من الأزمات التي تنهك الكيان العربي في جانبه الفكري و الثقافي والمساهمة من خلال هذه المقالة في توضيح معالم هذه الأزمة و النظر في أسبابها العميقة، لعل ذلك يفتح المجال لمعالجتها و محاولة تجاوزها قدر الإمكان.

### 1- إرهاصات الفكر العربي في عصر النهضة العربية الحديثة:

عادةً ما يبرز فكر ما في كل حاجة لتجاوز واقع متخلف، محاولاً إيجاد مخارج للوضع المتأزم و إعادة بناء المجتمع بالكيفية التي تمكنه من تحقيق نهضة تشمل كل جوانب الحياة، و هذا بالتحديد ما كان يمثل الهدف الأسمى لدى المفكرين العرب منذ اللحظة النابليونية إلى يومنا هذا، فبعد ظهور بوادر يقظة حضارية شهدتها المجتمعات العربية نتيجة تظافر العديد من العوامل الداخلية و الخارجية، بدأت تلوح في الأفق العربي ملامح نهضة حضارية، كان أول مظاهرها تقطن العرب للقفزة الحضارية

التي شهدتها أوروبا و مستوى التقدم و التحديث الذي حققته بفضل نهضتها التاريخية منذ القرن 17م، و أمام انهيار السلطة العثمانية، ظهرت محاولات عربية تسعى إلى تكوين عناصرها و تشكيل ذاتها تحت ضغوط تاريخية فرضت عليهم ضرورة النهوض و إصلاح الواقع الذي آل إليه المجتمع العربي....تبلورت إثر ذلك التيارات الفكرية المعروفة آنذاك، التيار الإصلاحى و التيار العلمانى، اللذان انبثقا عن مشروع محمد علي في إرسال البعثات العلمية نحو أوروبا ، إلا أنهما اختلفا من حيث الوجهة، فالأول عمل على المزوجة بين الوافد الغربى الحداثى و الموروث العربى الإسلامى، مع ضرورة الانتقاء من كلا المصدرين العناصر الفكرية و الثقافية التي تخدم أهداف الإصلاح، بينما توجه الثانى نحو الدعوة إلى الاقتداء بالنموذج الغربى الحداثى و التخلي عن الموروث الإسلامى، الذي شكّل في نظرهم عائقاً أمام تقدم العرب، و في المقابل ظهر تيار ثالث عُرف بالتيار السلفى، الذي قام على مبدأ رفض النموذج الغربى و التشبث بالنموذج الأصيل المتمثل في التراث الإسلامى.

كانت أهداف هذه التيارات موحدةً رغم اختلاف روافدها، حيث عملت على مواجهة السؤال النهضوي الكبير الذي كان " مزدوجاً يبحث عن التقدم والتأخر في الوقت ذاته، فقد كان سؤالاً ينطلق من إدراك جملة من الفروق التي تفصل البلاد الأوروبية بما حققته من مدنية وتطور علمي، عن البلاد الإسلامية التي كانت تعاني من تأخر في هذا المجال ناجم

## عن قرون من الركود عرفته الحضارة الاسلامية 1.

توصلت هذه التيارات إلى وضع نتائج فكري يعكس مبادئها ومواقفها الخاصة في مواجهة الإشكالات المطروحة، فرسمت بذلك ملامح الفكر النهضوي في مرحلته الحديثة، لكن ما ينبغي أن يجذبنا، ليست الأعمال التي قامت بها تلك التيارات إنما النتائج التي أفرزتها ممارستها الفكرية على صعيد الواقع العربي، حيث تُقاس درجة نجاحها بمدى قدرتها على تمكين المجتمع من تجاوز أزمة التخلف وتحقيق وحدة عربية شاملة، .... فهل تمكنت التيارات الفكرية من تحقيق ذلك بالفعل؟

### 2- الخطاب النهضوي: بين الفشل وإعادة التشكل:

لكل مشروع حضاري تطلعاته و آماله، كما أن لكل مشروع معوقاته وعوامل تراجعته، ... إن مشروع النهضة العربية الحديثة في حقيقته لم يكن كما كان يبدو للوهلة الأولى، كل ما هنالك تراكمٌ ضخم زاهر بالشعارات التي انعكس فيها بوضوح إما، الانبهار المُضلل بالغرب أو الانكماش القائل حول الذات، و كان من أبرز نتائج ذلك الوضع أن اصطدم رواد التيارات الفكرية بنوع من الفجوة بينهم و الواقع الذي سعوا إلى تغييره، و هذا ما دلّ على عدم انعكاس المنطلقات النظرية و الفكرية لهذه التيارات على مستوى الواقع، و عدم قدرتها على خلق انسجام و توافق مع هذا المجتمع.

فالتيار الإصلاحية رغم قيامه على مبادئ تصحيح الموروث الديني وتفعله من جديد في المجتمع، إلا أنه، "لم يستطع أن يُترجم إلى لغة الواقع فكرة الوظيفة الاجتماعية للدين"2، وذلك يعود إلى تحويل اهتمامهم بشكل كبير إلى كيفية جعل النموذج الذي تبناه هو النموذج الأمثل لتحقيق النهضة العربية.

ومن جهته آل التيار العلماني إلى انزلاقات خطيرة تتعارض وروح النهضة العربية، فبدل أن يبحث عن كيفية تأصيل العلمانية في المجتمع العربي وتحقيق التكامل مع التيارات الفكرية الأخرى، صار منهمكاً في نزعاته الإيديولوجية المعبرة عن عدائه لرواد التيار الإصلاحية والسلفي.

وبدورها لم تكن النزعة السلفية أقل إضراراً لمسار النهضة من نظيراتها الإصلاحية والعلمانية، حيث ارتبطت ارتباطاً شديداً بالماضي كما هو دون محاولة منهم لإعادة قراءته قراءة نقدية تعمل على إحياء مضامينه التي يمكن أن تخدم المشروع النهضوي، فالسلفي "يفكر في النهضة داخل مجال خاص، داخل منظومة مغلقة هي تلك التي يقدمها له النموذج الحضاري العربي الإسلامي في القرون الوسطى والتي تشكل إطاره المرجعي الوحيد"3.

و هكذا بدأ مسار النهضة بالانحراف، و أصبح يعبر أكثر ما يُعبر عن توجهات إيديولوجية حددت معالم الخطاب النهضوي، فتحوّل الانشغال بقضايا النهضة إلى الركض نحو معالجة القضايا المتعلقة بالنزاعات الإيديولوجية، و في هذه الحال صار النموذج الغربي محل انبهار في

الوسط الفكري آنذاك، و أدت الدعوة للاحتذاء به إلى وقوع بعض المفكرين في التقليد الأعمى، الذي أثر بشكل سلبي و بالدرجة الأولى على الذات العربية، حيث خلق نوعاً من التوتر في علاقتها مع الآخر الغربي، الذي صار يُشكّل حضوراً سلبياً في الوعي العربي، ضمن سياق صدامي لم يكن فيه الآخر موضعاً للفحص النقدي بقدر ما كان يمثل النموذج الذي تفكر به النُخب.

استمر تراجع مشروع النهضة شيئاً فشيئاً إلى أن تبين فشله تماماً أمام تقادم الأزمة في المجتمع العربي والتي عكست تأزم الفكر العربي آنذاك وعدم قدرته على تجاوز إشكاليات النهضة المطروحة، فلم يصل مشروع النهضة إلى حيث كان يُراد له الوصول، حيث "لم تتمكن الشروط النظرية والتاريخية المؤطرة للإنتاج النظري في عصر النهضة، من توليد النص الفلسفي الفاعل في تاريخ الفلسفة، والفيلسوف المنتج لبناء فلسفي مستوعب ومُطوّر لصيرورة نظام تاريخ الفلسفة"<sup>4</sup>.

وقد برز انعكاس تأثر الفكر العربي على الواقع في صورة واضحة إثر وقوع العرب في نكبات متتالية، بدءاً من حرب 1948م، إلى حرب 1965م، مُمثلة لسنوات الهزيمة العربية أمام إسرائيل وصولاً إلى هزيمة 1967م التي كانت أشد الهزائم وقعاً على العرب وأكثرها إضراراً لواقعها الاجتماعي والثقافي وحتى النفسي.

وهكذا لم تُفلح المحاولات الفكرية العربية في إعطاء الاندفاع المطلوب لبقاتها واستمرارها مثلما حصل للنهضة الأوروبية، وإذا كانت النهضة تعني

" قياماً بعد سكون فإن تاريخ النهضة الأوربية ما يزال مستمراً إلى اليوم لم تفتقر عوامله عن التفاعل"5، فما الذي جعل العكس يحدث لنهضة العرب المنشودة ما دام روادها قد التقفوا آثار النهضة الأوربية منذ بدايتها وأعجبوا بمسارها، وعالجوا قضاياها بالطرق التي عولجت بها قضايا المجتمع الغربي؟ ولماذا بقي سؤال تأخر العرب مطروحاً في الساحة الفكرية؟

تلك الأسئلة و غيرها أرهقت الكيان العربي في تلك المرحلة، كل الأطراف تتبادل أصابع الاتهام، و على إثر مرور الفكر العربي بمرحلة الهزيمة صار لزاماً إعادة النظر في العوامل التي حالت دون قيام نهضة عربية حقيقية في الواقع، و هذا ما أعطى دفعاَ لتيارات ما بعد الهزيمة أن تتشكل من جديد وفق متطلبات و مستجدات الراهن، فأخذت شكلاً جديداً باختلاف مشاربها تحت ظل تيارين بارزين هما التيار الأصولي و التيار العلماني، فطبعت المواقف الفكرية بمجملها بهاذين الطابعين منذ أواخر القرن 20م إلى يومنا هذا...فهل تمكن ذلك الجيل من المفكرين من تدارك أخطاء أسلافهم منذ بداية المشروع النهضوي؟ وكيف كان موقفهم أمام سؤال الحداثة والتجديد؟

### 3 - الفكر العربي المعاصر ومحاولات التحديث:

شكلت الحداثة الغربية محور بحث و تساؤلات جادة في الفكر العربي...، و أمام هذا النموذج ظهرت مواقف التيارات الفكرية الأصولية والعلمانية، و تبلورت في خضم صراع فكري إيديولوجي ينزع نحو تجسيد

النموذج الأكثر تلائماً مع الواقع العربي، فالأصولية عُرِفت منذ بدايتها بموقفها الرفض للحدائثة الغربية، بينما انبثق من التيار العلماني تيارات و تطبيقاتها في المجتمعات فرعية متعددة، دعت إلى استعارة تلك الحدائثة العربية، لكنها اختلفت عن بعضها من حيث المبدأ، فمنها من دعت إلى نقل الحدائثة الغربية من بيئتها وتطبيقها مباشرةً في المجتمعات العربية،... إلا أن الحظ لم يسعف روادها، إذ لم يتمكنوا من تمرير مفاهيم الحدائثة و التقدم في الوسط الثقافي العربي وتحريك المجتمع من جديد، ذلك أنهم انجرفوا وراء مساعيهم الإيديولوجية وعملوا على الترويج للحدائثة و تقديم الآخر في صورة راقية تُعبّر عنها الغربية في المجتمع العربي تلك المضامين التي تشمل العدل و المساواة و الاحترام والتسامح والحوار، و في المقابل عملوا على تقديم الذات العربية في صورة مناقضة للآخر و مُختلفة عنه، و كان ذلك بهدف خلق تصور إيجابي للآخر في ذهنية العربي، يُقابلة تصوّر سلبي للذات، حتى تكتسب الأطروحات الفكرية لهذه التيارات شرعيتها في المجتمع العربي، وتخلق اندفاعاً ذاتياً في أفراد المجتمع نحو الاندماج في تلك الحدائثة والافتداء بالآخر الغربي في جميع أنماط الحياة، و هذا يقتضي بالنسبة للمروّجين لهذا الموقف، تخلي المجتمع العربي عن موروثه الديني و التاريخي و التجرد من مكوناته الاجتماعية والاقتصادية.

أما أصحاب موقف الوسط بين الوافد والموروث، فقد حاولوا تكيف المشاريع الفلسفية الغربية الكبرى مع البيئة الفكرية العربية، ورغم توجههم

الإيجابي نحو التراث، إلا أنهم لم يتمكنوا من توجيه تصورات مشاريعهم وجهةً تليق بإحداث تغيير فعّال على مستوى الفكر وكذا الواقع.

وهكذا انحصرت محاولات التحديث في الفكر العربي، بين التقليد والتكييف، وكل ذلك كان بهدف إرساء الحداثة في الوطن العربي، لكن حاملها لم يتفطنوا أن الحداثة...إبداع!

#### 4 - مشكلة العلاقة بين الفكر والواقع:

إن فشل الحداثيين العرب في إنجاز واقع حدائثي جديد، على غرار ما أنجزته الحداثة الغربية، يطرح مشكلة العلاقة بين الفكر العربي أو النخب المثقفة بالواقع العربي الذي تهدف إلى تغييره، فنجاح الحداثة الغربية في فضائها الذي برزت فيه دليل على انتشار الوعي الحدائثي في المجتمع الغربي، و هذا بدوره يدل على وجود علاقة حيوية بين الفكر و المجتمع عملت على تحويل مفاهيم الحداثة إلى ممارسة و سلوك.....هي ذاتها العلاقة التي تعذر إيجادها في الفضاء العربي، و في هذا الموقف يظل المثقف هو المسؤول الرئيسي على غياب تلك العلاقة باعتباره المسؤول على اكتساب القدرة على المسك برباط المجتمع و تحركاته، حتى يتمكن من الارتقاء به إلى المستوى الحضاري و عياً و ثقافةً و سلوكاً وإنجازاً، فالواقع يجب أن يكون نقطة التحرك صوب المثل العليا و أهداف التقدم التي يسعى المجتمع من أجل تحقيقها، لذلك لا بدّ من معرفة تفاصيل هذا الواقع و تحليله من أجل استنباط الحلول و تصميم الخطط و إيجاد الوسائل"6.

يظهر انقطاع الفكر الذي تنتجه الطبقة المثقفة عن الواقع الذي تسعى لتغييره، في إغائه للزمان والمكان باعتبارهما مبدئين أوليين لأي مشروع فكري حضاري يطمح إلى التغيير، فأصحاب النموذج الغربي يقفزون على الواقع المعيش ويُحوّلون أنظارهم وتطلعاتهم إلى الفكر الغربي ويُحاولون نقله إلى البيئة العربية، متناسين بذلك أن هذا الفكر يدل على واقع تحقق في مكان مخالف للمكان الذي يريدون جعله محطةً لهذا الفكر.

أما أصحاب النموذج الإسلامي فقد تجاهلوا الحاضر والمستقبل والتفتوا كل الالتفات إلى مضمون التراث العربي الإسلامي الذي عبّر عن واقع قد تحقق في الماضي.

انطلاقاً من هذه المبادئ يُنتج الفكر الفلسفي العربي مفاهيم لا تُعبّر عن الواقع الذي ينتمي إليه، بقدر ما تُعبّر عن واقع مأمول ومستنسخ من الصورة النموذجية المستمدة إما من الواقع الغربي أو التراث العربي، بمعنى أن الفكر الفلسفي العربي المعاصر لا يستطيع أن يُظهر وجوده في الواقع، لأنه يُحاول تقمص نماذج أخرى لا تُمثّل للواقع بصلة.

##### 5 - الإبداع الفلسفي في الفكر العربي المعاصر: تعارض الواقع والطموح.

لقد مضى العقل في محاولة استنشاف مغامراته العلمية والنقدية، باحثاً عن إمكانية إحياء فلسفة عربية تُعبّر عن الذات العربية وهويتها الثقافية والقومية، حتى تستعيد حريتها ورهنيته، ولم يمضِ العقل العربي في هذا السبيل إلا بدافع النهوض الذي فُرض عليه لتدارك التقلّب السياسي

والاقتصادي والاضطراب الفكري والتخلف الاجتماعي الذي حلّ بالعرب.

و أمام هذا التحدي الكبير، قدّم العقل العربي في إطار ما يُعرف بالفكر العربي المعاصر، نتاجاً فكرياً ضخماً، انحصر أساساً بين المرجعيتين الغربية و التراثية، و الجدير بالذكر ان التأثير بفكر ما لا يدل بالضرورة على الوقوع في التبعية و التقليد، فبإمكان هذا الفكر أو ذاك أن يكون مُنطلقاً لعمل إبداعي مميز يخترق مجاله التداولي، و يتمكن من فرض وجوده على مستوى الفكر العالمي و تسجيل خصوصيته الحضارية و إضافتها إلى الخصوصيات المتداولة، فالتفكير الإبداعي " لا يحدث في فراغ أو بمعزل عن محتوى معرفي ذي قيمة، لأن غايته تتلخص في إيجاد حلول أصلية لمشكلات في أحد حقول المعرفة أو الحياة الإنسانية"7.

وعلى هذا الأساس هل يُمكن أن نُطلق على النتاج الفلسفي العربي صفة "الإبداع"؟

الواضح أن ما يُعرف بالفلسفة العربية لم ترقى بعد إلى مستوى الإبداعية، رغم بروز بعض محاولات الإبداع الراضة لهيمنة التصورات السائدة و سلطتها على الوعي العربي، لكن هذه المحاولات لم تكن كفيلاً بإحداث نقلة حضارية مميزة، و لم تتمكن من تحويل منتوجها الإبداعي إلى مشروع ثقافي متكامل للبناء الحضاري، و يُقاس صدق هذا الاعتبار الذي نحن بصددده، بالنتيجة الملموسة في الواقع، فلو ظهر على الأقل

مشروع إبداعي واحد متكامل لكانت نتائجه واضحة، و للمسنا شيئاً من التغيير في الواقع بقدر قوة هذا المشروع، لكن إذا تراجعنا قليلاً عن هذا الاعتبار و أدخلنا عوامل أخرى لها علاقة بتمير هذا المشروع بين ثنايا المجتمع، لقلنا أنه من المحتمل أن يكون مشروع ثقافي عربي يسعى إلى التغيير، موجود بالفعل و هو جاهز بشكله النظري ينتظر أن يجد تطبيقاً و صدى عند المتلقي، لكنه يفشل عن التجسد في الواقع بحكم العوامل المعارضة لوجوده و تأثيره وبالتالي ففي كلا الاعتبارين أو الحالتين، يُؤخذ على العمل الإبداعي بأنه غير فعّال.

وتاماً، كما تُعبّر غياب نتائج الإبداع في الواقع عن غيابه في الممارسة الفكرية، كذلك فإن عدم قدرة المشاريع التي تزعم بأنها إبداعية، على اختراق العوامل المعيقة لمسارها، تُعبّر عن عجزها وبالتالي تأكلها وزوالها.

ولكي نتجنب الوقوع في صبّ الانتقادات اللامتناهية على كاهل الأنتلجنسيا العربية، لا بُد من الكشف عن العوامل التي تُعيق الإبداع الفلسفي العربي،...لعل ذلك يمنح إلى حد ما فرصة البحث في كيفية التصدي لتلك العوائق ومقاومتها مستقبلاً.

## 6- موانع الإبداع الفلسفي العربي:

### \*الذات العربية: بين التوتر والإحباط:

لقد آلت الذات العربية إلى ضَعْف حضاري بعدما تراجعت مكانتها في التاريخ و تشتت معالمها و مقوماتها إلى درجة أن أصبحت تائهة لا يُعرف لها وجهة و لا مسار، ففقدت فاعليتها وانكسرت خصوصيتها و صارت مُتوقّعةً في نمط التبعية و التقليد، ... ولا بد أن وراء كل ظاهرة خارجية عوامل داخلية تُهيئ لها و تمنحها القابلية للوجود، و ما الانعكاس الحضاري و التخلف التاريخي الذي تعيشه الذات العربية ما هو إلا نتيجة خلل في الوعي بالذات و سوء إدراك وجودها لدى الإنسان العربي.

وفي سيكولوجية الذات العربية المحبطة، تبرز مشاعر مضطربة و عُقد نفسية ناتجة عن فقدان الثقة بالذات، واحتقارها بسبب فشلها أمام كل تجربة، وتتولد عن هذه الحال كوابح خطيرة تُعيق المشاريع التنموية والإبداعية، لأن الإبداع لا ينمو في تربة الإحباط والفشل بل في تربة النجاح والتقدم والثقة بالذات.

أما في علاقتها مع الآخر (الغرب) فإن الذات العربية تعيش توتراً يعود أساساً إلى نوع من الشعور بالدونية و الذي يفرز بالضرورة شعوراً تعظيماً و تبجيلياً للآخر، يبرز من خلال نظرتها لذاتها و كل ما تحمله من خصوصيات ثقافية و إنجازات حضارية، ... و نظرتها للآخر و كل ما يُقدمه من فكر و ثقافة، حيث "تدلنا النتائج العلمية على أن

المجتمعات الأقل تقدماً تعزو السمات السلبية لنفسها، في حين تقرن السمات الإيجابية بالدول المتقدمة"8.

وضمن هذه الإيديولوجية الواقعة بين الذات العربية و الآخر الغربي تزداد حدّة التبعية للآخر ونسف قدرات الإبداع في الذات.

### \* أزمة الفكر والثقافة:

تتبقى أزمة الفكر العربي من تأزم في الواقع و الثقافة المتخلفة المهيمنة على الوعي العربي، إذ لم يستطع الفكر حتى الآن تقديم مساهمات حضارية ينتشل بها المجتمع العربي من الواقع البائس الذي آل إليه، ويعمل على احتوائه و الارتقاء به إلى المستوى الحضاري المطلوب، لم يستطع هذا الفكر فرض نفسه في الساحة الفكرية العالمية بإنجازاته، و لا على خلق علاقة تبادلية مع الآخر في مجال الفكر و الثقافة حتى يتم تجاوز ثقافة الاستهلاك و الانتقال إلى مرحلة إنتاج الطاقة الفكرية وتصديرها، و كلما عجز الفكر عن التحرك و الوصول إلى هذا المستوى من التعامل مع الآخر، كلما ازدادت حدّة الأزمة و انكشفت فرص الإبداع.

### \* عوائق موضوعية للإبداع الفلسفي:

من أبرز العوامل التي تُعيق سير الإبداع الفلسفي وأكثرها خطورةً، "غياب الحرية الفكرية"، فالحرية التي فقدها المفكر العربي لا ترتبط فقط

بالجانب السياسي والإيديولوجي، إنما تتعداه إلى مستوى الفكر ذاته، حيث يُشهد على الفكر العربي عدم قدرته على التحرر من المفاهيم الفكرية المسيطرة على ذهنه، والمستمدة إما من التراث العربي الإسلامي أو الفكر الغربي الحديثي، ولذلك يستحيل ميلاد فلسفة إبداعية داخل إطار نظري مقيّد ومغلق.

إضافةً إلى هذا العامل، هناك عامل آخر يتعلق بالمجتمع، والمتمثل بالاستجابات العنيفة التي تمارسها المجتمعات المتخلفة ضد الإبداع، "فالمجتمع في سبيل الحفاظ على حالة السكون والتماسك، يبادر برفض أو نبذ الأفكار الجديدة، وكلما كانت الفكرة عميقة المعنى بالغة الجودة، كلما كان رد فعل المجتمع أكثر شراسة"<sup>9</sup>.

هذا بالإضافة إلى عوامل أخرى، لا يسعنا المجال للإحاطة بها، تتشابك وتتكامل لتصنع نسيجاً لا يُستهان بقدرته على منع بروز إبداع فلسفي عربي، وتعطيل القدرات الإبداعية بأي وسيلة متاحة.

### خاتمة:

وختاماً، فإن إثارة أزمة الإبداع الفلسفي في الفكر العربي المعاصر والحديث عن موانع الإبداع الفلسفي، لا ينبغي أن يخلق لدينا شعوراً بالاستسلام، إنما الحديث عن هذه الأزمة ومحاولة إدراك مخاطرها، يكون بمثابة السير نحو تجاوزها، وتقع مسؤولية ذلك على كل عربي أوتي شيئاً من العلم والثقافة الفكرية التحررية.

## الهوامش:

- 1- محمد وقيدي واحميدة النيفر، لماذا أخفقت النهضة؟، دار الفكر، دمشق، 2002، ص.144.
- 2- مالك بن نبي، وجهة العالم الإسلامي، منشورات ANEP، الجزائر، 1981، ص.53.
- 3- محمد عابد الجابري، الخطاب العربي لمعاصر: دراسة تحليلية نقدية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1994م.ص.33.
- 4- كمال عبد اللطيف، قراءات في الفلسفة العربية المعاصرة، دار الطليعة، بيروت، 1994م.ص.21.
- 5- محمد وقيدي واحميدة النيفر، لماذا أخفقت النهضة: ص.166.
- 6- سعدون حمادي وآخرون، قضايا إشكالية في الفكر العربي المعاصر، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1998م.ص.26.
- 7- فتحي عبد الله جروان، الإبداع مفهومه، دار الفكر للطباعة والنشر، الأردن.2002م.ص.31.
- 8- عبد الله البريدي، السلفية والليبرالية: اغتيال الإبداع في ثقافتنا العربية، المركز الثقافي العربي، المغرب، 2008م.ص.120.
- 9- ماجد مورييس إبراهيم، سيكولوجية القهر والإبداع، دار الفارابي، لبنان، 1999م.ص.55.